

الشيخ عبدالحميد بن باديس في يوم حرية التعبير

أول صحافي في التاريخ يتعرض لمحاولة اغتيال بسبب مقالاته



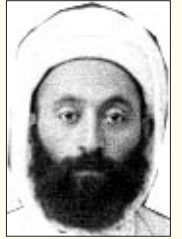
نموذج من كتابة بن باديس بخط يده



صدي محاولة الاغتيال في الأزهري الشريف

عبد الناصر

يقول محمد العيد آل خليفة في قصيدة من 41 بيتا تحت عنوان "حمتك يد المولى":



وأخطاك الموت الزؤام يقوده
وكادت يد الإجاني (العلوي) تعتلي
أليس من الآيات أنك يبيننا
فدم يا بن باديس كما كنت راشدا

إليك امرؤ أملى له الغي ما أملى
يد الشيخ لولا الله أدركه لولا
تعامل بالعدل الذي أغضب العذلا
فإني رأيت الرشد يستأصل الدجلا

الإسلام وحده القادر على إرجاع الجزائر إلى أهلها، وهو ما جعل الفرنسيين يصادرون الصحيفة ويلقون القبض على مديرها "عمر راسم" ويحاكم عسكريا عام 1914 ويصدر في حقه حكما بالأشغال الشاقة مدى الحياة ليطلق سراحه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وللأسف فإن "عمر راسم" ترك الصحافة بعد الاستقلال وأعطى عمره للمنمنمات التي يعتبر رائدها في العالم ورفضها الأول وتزوج من سويدية اعتنقت الإسلام وكان حافظا للقرآن ومن أشهر مجوذييه، ومن غرائب الدنيا المبكية المضحكة أن "عمر راسم" تم اغتياله عام 1959 في بيته وعمره جاوز الثمانين سنة وقام المجرمون بسرقة أمواله دون لوحاته التي يبلغ ثمنها ملايين الدولارات.

لم نقل لكم أننا صغارا جدا جدا..
أما هؤلاء العملاقة الكبار جدا جدا..

الهدهد والبيعاء!!

أول عمل إعلامي عرفته البشرية هو ما قام به هدهد سيدنا سليمان عليه السلام وهو عمل صحفي كامل كما جاء في سورة النمل، فقد آجاب (الهدهد) على كل الأسئلة الإعلامية المعروفة من (كيف ولماذا ومن ومتى وآين؟)

يقول القرآن الكريم على لسان هدهد سليمان "فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به" وهو سبق إعلامي، ثم تكمل الآية "وجئتك من سبأ نبيا يقين" وهو يذكر المكان ودقة الخبر، ثم يبدأ في رواية الخبر "إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم..وجئتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فهذه من السبيل" والسيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن (الجزء 6) يتوقف عند هدهد سليمان فيزنه على ميكال الصحافة "إذا ضمن إصفاة الملك بعد المفاجأة يأخذ في تفصيل التبا يقين الذي جاء به".

ومثل هدهد سليمان كان صحافيو الرعييل الأول من أمثال عمر راسم والشيخ بن باديس ومبارك المليهي وصحافيو الجيل الحالي فنخشى أن يكونوا باغاوات يجتزؤون كلام الحاكم أو كلام رب العالمين أو كلام الزنواث وفي كل الأحوال لا يجتزؤون كلام الحق.. ولو كانوا كذلك لأطلقوا على دور الصحافة أسماء عملاقة الإعلام الأوائل أو على الأقل إعتزوا لهم بأسبقيتهم في احتراقية "المهنة" في زمن ودولة "المتاعب".. ألم نقل لكم أنهم عظماء كهدهد سليمان ونحن صغار، صغار.

يعترف بكرامات أولياء الله الصالحين!! والمجرم من سكان برج بوغريج اتضح أثناء التحقيق أنه مبعوث خاص من الزاوية العلوية بمستغانم لأجل إخماد شعلة الشيخ وإطفاء نور الشهاب، وقام بالتحقيق في القضية قاضي الاستنطاق (مسويو أدواني) من محكمة قسنطينة الذي أمر بتحويل الجاني إلى محكمة الجرائم، في الوقت الذي طالب صحافيو الشهاب ورجال جمعية العلماء المسلمين محكمة شيخ الزاوية لأنه المدير الأول لمحاولة الاغتيال.

وحسب الشيخ عبد الحق بن باديس الشقيق المتبقي للشيخ عبد الحميد الذي اتصلت به الشروق اليومية فإن العلامة قام بعد ثلاث سنوات من محاولة اغتياله بزيارة إصلاحية إلى مستغانم والتقى بالشيخ بن علوية وتصالحا وأمضى ليلته في بيته!! أما المتهم (محمد الشريف مامين) فتقد عاش ثلاث سنوات في مستغانم ثم عاد إلى حوزته في برج بوغريج حيث أنشأ مركزا للطريقة العلوية مازال قائما لحد الآن. وكان يأمر أتباعه بأن يكرزوا ذكر اسم (الله) ألف مرة وأن ينظروا إلى نقطة واحدة مستعانة حتى ينزل الله في ذاتهم، واستطاع أن يسيطر على عقول أهل البرج وعلى أموالهم إلى أن ظهر جيل من الصحافيين من أمثال بن باديس والإبراهيمي والطيب العقبني وخاصة مبارك المليهي الذي خلد محاولة الاغتيال في قصيدة شعرية.

عمر راسم أول صحفي يسجن

لم يدخل العالمية في تاريخ الرسم الجزائري فثان مثل عقبري المنمنمات الأول عمر راسم، وهو أول صحافي جزائري حر يصدر جريدة باللغة العربية عام 1908 بعنوان (الجزائر) ذات الاتجاه الوطني العربي، الإسلامي، فتعرضت صحيفته للمصادرة ثم عاد باسم مستعار (ابن المنصور الشهابي) وأصدر صحيفة (ذو الفقار) وعمل فيها الصحافي عمر راسم كل شيء.. نعم كل شيء.. فهو مؤسسها وكاتبها ورسامها وكان يطبعها بنفسه طبعا حجرية.. ومن أهم مقالاته التي أثارت ضجة عام 1913 مقالا بعنوان (الإسلام والمسلمون) قال فيه أن سبب تأخر المسلمين يعود إلى انفصالهم عن الشريعة الإسلامية، واعتبر المقلدين للفرنسيين بالفاسدين أخلاقا. ويشهد التاريخ أن الصحافي "عمر راسم" هو أول قلم عالمي نبه عام 1914 على الخطر الصهيوني كما قال أحمد توفيق المدني في كتابه (الجزائر) وفي ذات السنة أصبح يستذكر دخول الفرنسيين إلى الجزائر ويكتب بأن

صيدا وينسويه لعلي بن أبي طالب!! والحقيقة أن (العلوية) مشتقة من لقب (بن عليوة) الموجود بكثرة في غرب البلاد.

وعندما اشتد هجوم أقلام الشهاب قامت الزاوية العلوية عام 1926 بإصدار جريدة (البلاغ الجزائري) لتعارض بها الحركات الإصلاحية كما قال الدكتور عمار طالبي في كتابه (ابن باديس حياته وآثاره).. وظلت الصحيفة المتسوّف وتمجد الطريقة، وتدافع عن مطبعتها الخاصة وكانت تصدر من الجزائر العاصمة.. وهنا تحرك الصحافي بن باديس وراح يكسبها تجاوزات شيخ العلوية مثل ثقافته المتواضعة وشرائه لقصر عظيم بالعاصمة يحي (سان أوجين) به حمام أروبي وتيليفون ويستان ويطل على شاطئ البحر، كما كان يجتمع بأبناعه مرة في السنة بالعاصمة، وفتح لطريقته فروعاً حتى في شرق البلاد في عنابة وتبسة وسوق اهراص.. ويقول الصحافي بن باديس بأن أتباع بن علوية يعتقدون بأن شيخهم يتصرف في الكون ويعلم الغيب ويجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم صباحا ومساء وهذا الكلام مدون في الشهاب ضمن حملة الكلام مركزة، وبدأت رسائل التهديد تصل الصحافي طوال عام 1926.. وفي إحدى الليالي الشتوية والضبط في 14 ديسمبر 1926 بينما كان الشيخ بن باديس عائدا إلى بيته بعد أن قُدم درسا في الجامع الأخضر وفي حدود التعليل علنا دعما اقترب من بيته بنهج (السود) وهو في منحدر (مايو) إنقض عليه رجل يدعى (محمد الشريف مامين) كان غلبتها بمكان مظلم ونهال عليه بهراوة صلبة أصابت رأس (الصحافي) وكادت تقضي عليه، وكان الرجل المجرم يحمل بيساره خنجر (بوسعادي) وينتظر انهيار الشيخ تحت ضربات الهراوة ليغرس (الموس) في صدره، ولكن شجاعة بن باديس جعلته يتفوق على المتدري ثم كاد أن يقبض عليه، ليتدخل بعض المارة الذين تتبغوا المجرم إلى أن سقط في فخيم وتم اقتياده إلى مركز الشرطة، حيث اعترف بجريمته.. وبعد الحادثة اقترحت جمعية العلماء مرافق دائم للشيخ وهو الحاج العربي جلاوط القادم من جرجرة والذي رافق الصحافي بن باديس كحارس خصوصي وتوفي في أبريل 2006 فقط عن عمر يناهز 94 سنة.

سماحة الصحفي

إعترف المدعو (محمد الشريف مامين) بأنه كان يريد القضاء على صحافي يحارب الدين الإسلامي لأنه لا

ولقد دامت من جانبي 1929 إلى عدد سبتمبر 1939 على أبواب الحرب العالمية الثانية.. وعندما يكون العظيم مالك بن نبي قارئ مهلوس بكتابات الصحافي بن باديس فمعنى ذلك أن (إفتتاحيات) الشيخ كانت من أسباب عقبرية المفكر بن نبي الذي لم يتوقف عند حد (القراءة) إنما قام بتوزيع الصحيفة في مدينة أفلو، كما اعترف بذلك في مذكرات شاهد القرن.. لم يكن الصحافي بن باديس متريفا فقط على عرش الإفتتاحية، بل خاض مختلف أنواع الكتابة الإعلامية من نقل للأخبار إلى الإستطلاعات والتحقيقات وحتى الحوارات وتغطية بعض النشاطات، وهو الذي أزع عبر تحقيق إعلامي لمعركة قسنطينة والتي اصطدم فيها يهود المدينة بمسلميها.

لم نقل لكم أننا فعلا (أصفر) من هؤلاء العملاقة!!

مقالات ومحاولة اغتيال

لو لم يكن الشيخ بن باديس صحافيا لما شهد التاريخ بأنه تعرض لمحاولة اغتيال، ولحسن الحظ فإن الحادثة تم تدوينها في مجلة الشهاب عام 1926 بقلم الشيخ، وأيضا بقلم مبارك المليهي، إضافة إلى صحيفة (الاديباش دو كونستونتين) في عددها الصادر في 30 جويلية 1927 بقلم صحفي فرنسي رمز لاسمه بالحرطين (ن.ل). وكتب عن الحادثة بالتفصيل (الحلو) الأستاذ الأمين العمودي وعاد إلى تدوينها الصحفي المرحوم أحمد حماني في كتابه البدعة والسنة.

وللأسف فإن الزاوية العلوية هي المهمة الوحيدة تاريخيا في أهم محاولة اغتيال يتعرض لها الشيخ بن باديس وهذا بتاريخ 14 ديسمبر 1926 وكانت أولى بوادر الخلاف ما بين الصحافي عبد الحميد بن باديس والزاوية العلوية بمستغانم قد بدأت في عام 1925 عندما شن الصحافي الشاب (36 سنة) وزملاؤه في مجلة الشهاب حربا علمية ضد دعاة الباطل والضلال من الطرفين الذين يدعون العصمة والخوارق باسم الدين الإسلامي واستثمروا طيبة وإحسان الأهالي، خاصة في الزردات، فعانوا فسادا في العقول وفي الأموال وحتى في الأعراض كما كتب الصحافي بن باديس، وكانت الزاوية العلوية بمستغانم هدفا مثل بقية الزوايا لسهام صحافيي الشهاب مثل الطيب العقبني والشيخ المليهي وحسين أرزقي، وتناولت أقلام هؤلاء سيرة شيخ الزاوية العلوية المدعو بن علوية الذي كان يشتغل في تصليح الأحذية حسب صحيفة الشهاب، بالرغم من أن بعض أهالي مستغانم في الوقت الحالي يقولون أنه كان يشتغل

ليت حال صحافتنا يكون مثل الزمن الباديسي. ومع ذلك في كل ثالث من ماي نستعرض (قوانا) وتحدثت عن الصحافة الحرة التي (فجرناها) في التسعينيات (ونعد) ضحايانا وسجنائنا، وننسب أنفسنا شهداء ومجاهدي المهنة الأوائل الذين وضعوا حجر أساس الصحافة الحرة في الجزائر. وإذا كنا وسنقى نلوم كتاب تاريخ الجزائر، فقرأه من قهقه أن يلوموا الصحافة الجزائرية التي أغفلت دائما ذكر الجيل الأول الذي أيدع في صنع صحافة حرة وراقية وضعت في سبيلها بالنفس. يكفي القول أن الشيخ بن باديس أو الصحافي بن باديس كما كانت تدعوه السلطات الفرنسية تعرض منذ ثمانين سنة لمحاولة اغتيال بسبب مقالات نارية كان يهاجم بها العرقية، ويكني القول أن الرسام العالمي عمر راسم حوكم عسكريا منذ 91 سنة بسبب مقالاته، وصدر ضده حكما بالمؤبد والأشغال الشاقة. أما أن الأوان للاعتراف بأننا (أصفر) من هؤلاء العملاقة الذين صنعوا (المهنة) في دولة (المتاعب).

الصحافي بن باديس

لا تذكر السلطات الفرنسية وصحافتها الشيخ بن باديس إلا بلبق الصحافي *Le Journaliste* هكذا تعرفت فرنسا بأن الصحافي منذ (1665).. والشيخ عرفت الصحافة منذ (1665).. والشيخ كان فعلا صحافيا بكل ما تعنيه الكلمة، فقد تعلم الصحافة في رحلاته السويدية والتونسية، ومن قاربه للمعروفه الوثقى لجمال الدين الأفغاني والمنار لمحمد عبده، انتقل إلى تأسيس الصحف وأيضا (عمودا) ومن (الهدشة والصدمة) أن نطفي الآن لقب صحافي لمن لا يكتب (عمودا) واحدا في السن ونحرم شيخنا من هذا اللقب، وهو أحد مؤسسي أول يومية في تاريخ الجزائر (النجاح عام 1919) والتي بلغ مسجها عام 1930 حوالي 5000 نسخة، وهو مؤسس صحيفة المنقذ عام 1925 ثم صحيفة الشهاب وأتبعها بالمطبعة الإسلامية التي كانت بها مطبعيتين (الهدشة) والنجاح) وظل يكتب بلا إضاء في (السنة) والشريعة والصراطم). وكان من قراء الصحافي بن باديس المفكر مالك بن نبي الذي قال عن كتابات الشيخ الإسلامية.. (أريد أن أتكلم عن الإفتتاحية التي كانت ترد في مطلع كل عدد من مجلة الشهاب تحت عنوان مجلس التفكير، كان الشيخ يكتب هذه الإفتتاحية دائما، وإنها لأثر العالم الداعية والمصلح الفذ، وكان ابن باديس إذا غتب عن قسنطينة لسبب ما كانت المجلة تظهر بدون هذه الإفتتاحية، التي تكون حقا أم كل عدد من أعدادها